غزوة ذات الرّقاع

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بني النضير، اختلف أصحاب السير في الغزوة التي أعقبتها.

وقد أخرج أبو جعفر الطبري[1] في تاريخه: قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع، وبعض شهر جمادى، ثم غزا نجداً ـ يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ـ حتى نزل نخلاً، وهي غزوة (ذات الرقاع)، فلقي بها جمعاً من غَطَفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلَّى رسول الله ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف، ثم انصرف بالمسلمين.

قال ابن هشام[2]: وإنما قيل لها «غزوة ذات الرقاع» لأنها رقَّعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع.

ونقل أبو جعفر الطبري عن الواقدي: فإنه زعم أن غزوة رسول الله ﷺ «ذات الرقاع» كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة، قال: وإنما سميت «ذات الرقاع» لأن الجبل الذي سميت به «ذات الرقاع» جبل به سواد وبياض وحمرة، فسميت الغزوة بذلك الجبل، قال: واستخلف رسول الله ﷺ في هذه الغزوة على المدينة «عثمان بن عفان».

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٥٥٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/٢٢٦).

وقيل أيضاً: «إنما قيل لها ذلك، لأن الحجارة أوهنت أقدامهم، فَشدُّوا رقاعاً، فقيل لها: ذات الرقاع.

وقال السهيلي صاحب «الروض الأنف» بعدما عرض رأي ابن هشام: (وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود، وبقع بيض، كلها مرقعة برقاع مختلفة، قد سميت «ذات الرقاع» لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها، في تلك الغزاة. وأصح هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، ونحن ستة بيننا بعير نعتقبه، فنَقِبت أقدامنا، ونَقِبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت «غزوة ذات الرقاع»، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا).

وقال الزرقاني في (شرح المواهب) بعدما ساق كلاماً لا يخرج عن هذا: «وهي غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة، وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها بها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع من الأمور العجيبة».

وقد روى عروة بن الزبير، عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نجد، حتى إذا كنا بذات الرقاع من نخل، لقي جمعاً من غطفان، فلم يكن بيننا قتال، إلا أن الناس قد خافوهم، ونزلت صلاة الخوف، فصَدَعَ أصحابه صدعَيْن، فقامت طائفة مُوَاجِهَة العدو، وقامت طائفة خلف رسول الله ﷺ، فكبَّر رسول الله ﷺ، فكبَّروا جميعاً، ثم ركع بمن خلفه، وسجد بهم، فلما قاموا مشوا القهقرى إلى مَصَافِّ أصحابهم، ورجع الآخرون، فصلَّوْا لأنفسهم ركعة، ثم قاموا فصلَّى بهم رسول الله ﷺ ركعة، وجلسوا، ورجع الذين كانوا مواجهين العدو، فصلَّوا الركعة الثانية، فجلسوا جميعاً، فجمعهم رسول الله ﷺ بالسلام، فسلَّم عليهم.

وقد روى أبو جعفر[1] حديثاً آخر في صلاة الخوف عن محمد بن

(١) راجع تاريخ الطبري (٢/٥٥٧).

بشار، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي، عن قتادة، عن سليمان اليشكري: أنه سأل جابرُ بن عبد الله عن إقصار الصلاة: أي يوم نزل، أو في أيِّ يوم هو؟ فقال جابر: انطلقنا نتلقى عير قريش آتية من الشأم، حتى إذا كنا بنخلٍ، جاء رجلٌ من القوم إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد! قال: نعم، قال: هل تخافني؟ قال: (لا)، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: (الله يمنعني منك)، قال: فسَلَّ السيف، ثم تهدده وأوعده، ثم نادى بالرحيل، وأخذ السلاح، ثم نودي بالصلاة، فصلى نبي الله ﷺ بطائفة من القوم، وطائفة أخرى تحرسهم، فصلى بالذين يلونه ركعتين، ثم تأخَّر الذين يلونه على أعقابهم، فقاموا في مَصَافِّ أصحابهم، ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين، والآخرون يحرسونهم، ثم سلم، فكانت للنبي ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتين ركعتين، فيومئذٍ أنزل الله ﷻ في إقصار الصلاة، وأُمِرَ المؤمنون بأخذ السلاح[١].

وقال ابن هشام في سيرته[٢]: وحدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صَفَّنا رسول الله ﷺ صَفَّيْن، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ، وسجد الصف الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم. ثم تأخر الصف الأول، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ، وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، ركع النبي ﷺ بهم جميعاً، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين.

قال ابن هشام[٣]: حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنوري، قال: حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيركع بهم الإمام، ويسجد بهم، ثم يتأخرون، فيكونون مما يلي العدو، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم، ثم

(١) انظر تفسير الطبري (ج ٩/ ١٣٢).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/٢٢٧).
(٣) ابن هشام في السيرة (٣/٢٢٧).

تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة.

ولما حاول أحد المشركين أن يقتل رسول الله ﷺ، منعه الله، فقد أخرج ابن هشام عن ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: أن رجلاً من بني محارب، يقال له: غَوْرَث ـ على وزن جعفر ـ قال لقومه من غَطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى! وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حِجْره، فقال: يا محمد! أَنْظُرُ إلى سيفك هذا؟ قال: (نعم).. وكان محلًّى بفضة، ـ فيما قال ابن هشام ـ قال: فأخذه، فاستلّه، ثم جعل يهزُّه، ويهُمُّ، فيكبِته[1] الله، ثم قال: يا محمد! أما تخافني؟ قال: (لا، وما أخاف منك؟) قال: أما تخافني، وفي يدي السيف؟ قال: (لا، يمنعني الله منك)، ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فردَّه عليه، قال: فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

ونقل ابن إسحاق عن يزيد بن رومان: أنها أنزلت في «عمرو بن جِحاش»، أخي بني النضير، وما هَمَّ به، فالله أعلم أي ذلك كان.

وفي تلك الغزوة اشترى رسول الله ﷺ جَمَل «جابر بن عبد الله» ونقده ثمنه، ثم ردَّه عليه ولم يسترد الثمن، وفي ذلك يقول ابن إسحاق: وحدثني وَهْب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله، قال:

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ قال: جعلت الرفاقُ تمضي، وجعلتُ أتخلف، حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: (مالك؟ يا جابر!) قال: قلت:

---

(١) يكبته: يذله ويقمعه.

يا رسول الله! أبطأ بي جملي هذا، قال: (أَنِخْه)، قال: فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: (أعطني هذه العصا من يدك ـ أو ـ اقطع لي غصناً من شجرة) قال: ففعلت، قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نَخَسات، ثم قال: (اركب) فركبت، فخرج، والذي بعثه بالحق! يواهق[1] ناقته مواهقة.

قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: (أتبيعني جملك هذا؟ يا جابر!) قال: قلت: يا رسول الله! بل أهبه لك. قال: (لا، ولكن بعنيه) قال: قلت: فسُمْنِيه، يا رسول الله! قال: (قد أخذته بدرهم) قال: قلت: لا، إذن تغبنني، يا رسول الله! قال: (فبدرهمين) قال: قلت: لا، قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية.

قال: فقلت: أفقد رضيتَ يا رسول الله؟ قال: (نعم)، قلت: فهو لك. قال: (قد أخذته) قال: ثم قال: (يا جابر! هل تزوجت بعد؟) قال: قلت: نعم يا رسول الله! قال: (أثيباً أم بكراً؟) قال: قلت: لا، بل ثيّباً. قال: (أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك!) قال: قلت: يا رسول الله! إن أبي أصيب يوم أُحُدُ، وترك لي بناتٍ له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهن، وتقوم عليهنّ، قال: (أصبت، إن شاء الله، أما، إنا لو جئنا صِراراً ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة ـ أمرنا بجزور فنُحِرَتْ، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعتْ بنا فنفضتْ نمارقها) قال: قلت: والله! يا رسول الله! مالنا من نمارق، قال: (إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيِّساً) قال: فلما جئنا صراراً، أمر رسول الله ﷺ بجزور فنُحِرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلْنا، قال: فحدثتُ المرأةَ بالحديث، وما قال رسول الله ﷺ: قالت: فدونك، فسمعٌ وطاعة، قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ، قال: ثم جلستُ في المسجد قريباً منه، قال:

---

(١) يواهق: يعارض في المشي لسرعته.

وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل، فقال: (ما هذا؟) قالوا: يا رسول الله! هذا جمل جاء به جابر، قال: (فأين جابر؟) قال: فدُعيتُ له، قال: فقال: (يا بن أخي! خذ برأس جملك، فهو لك) ودعا «بلالاً» فقال له: (اذهب بجابر، فأعطه أوقية) قال: فذهبتُ معه، فأعطاني أوقية، وزادني شيئاً يسيراً، قال: فوالله! ما زال ينمي عندي، ويرى مكانه من بيتنا، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يوم الحَرَّة[1].

وحدَّث محمد بن إسحاق قال: حدثني صدقة بن يسار، عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة «ذات الرقاع»، من نخل، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجها، وكان غائباً، فلما أخبر الخبر، حَلَفَ أَلاَّ ينتهي حتى يُهريق في أصحاب «محمد» ﷺ دماً.

فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: (مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟) فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله! قال: (فكونا بفم الشعب) ـ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا الشعب، من بطن الوادي ـ فلما خرج الرجلان[2] إلى فم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري: أيَّ الليل تحب أن أكفيكه؟ أولَه أو آخره؟ قال: بل اكفني أوله، فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، وأتى زوجُ المرأة، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[3] القوم، فرمى بسهم فوضعه فيه، فنزعه، فوضعه، وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، فنزعه، فوضعه، وثبت قائماً يصلي، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، فنزعه، فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أَهَبَّ صاحبه، فقال: اجلس، فقد أُثْبِتُّ[4]، قال: فوثب المهاجري، فلما رآهما الرجل، عرف أَنْ

(١) الحَرَّة: وقعة كانت بالمدينة في زمن يزيد بن معاوية.
(٢) قال ابن هشام: الرجلان: عمار بن ياسر، وعَبَّاد بن بشر.
(٣) الربئية: الطليعة.
(٤) الطبري: أُتيتُ.

قد نَذِرا[1] به «فهرب» قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء. قال: سبحان الله! أفلا أَهْبتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أُنفِذَها، فلما تتابع عليَّ الرميُ ركعتُ فآذنتُك، وايم الله! لولا أن أضيِّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أُنفِذها.

لعمري! أي رجال كان أصحاب رسول الله ﷺ؟ وأين أين المقتدون؟

سرية محمد بن مسلمة إلى القُرَطاء

خرج «محمد بن مسلمة» في ثلاثين راكباً لغزو القُرَطاء: وهم بطن من بني بكر من كلاب، وكان خروجهم من المدينة في العاشر من المحرَّم في السنة الثالثة للهجرة، والتقى الفريقان على البكرات بناحية ضَرِيَّة والمدينة.

ونجم عن اللقاء، قتل عدد من القرطاء، ولاذ الباقون بالفرار، وغنم المسلمون شاءً ونَعَماً، ثم عادوا بها إلى المدينة.

---

(١) نذِرا: عَلِما.